أَلاسَالِيبُ العَرَبِيَّةُ وَجَمَالِيَّتُهَا فِي القُرآنِ الكَرِيمِ

د. مصطفى عباسى مقدم عبد الحر زيدان حمزة
جامعة كاشان -جمهورية ايران الاسلامية

فحوى البحث

الاسلوب: هو الطريق او المنهج الذي يستعمل الاداة او الألفاظ، ليصفها بعضها مع البعض لا نتاج معنى بدلالة مراد الله تعالى المطلوب، والاساليب عديدة منها بواسطة الاداة، كما في ادوات الاستفهام والقسم والتوكيد.

شمل البحث عدة بحوث، لبعض الاساليب العربية في القران الكريم، حيث تناول في طيات البحوث الجمالية والصورة الفنية للأساليب في التعبير القرآني الشريف، والذي اضفى جمالا اخر على النص القرآني، إذ جرى توضيح ادوات الاساليب وورودها مبثوثة في النصوص القرآنية، وكيف جرى تعامل النص معها تناسبا مع الألفاظ والسياقات الاخرى، ليظهر النص بهذا التنسيق وهذه الدلالة بصورة مؤثرة تبعث الشوق والتأثر في النفس لهدايتها السبيل قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾ [سورة الأحزاب: ٤].

المقدمـــــــة:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [سورة الحجرات: ١٣]. وشرف الله تعالى لغة العرب بنزول القران الكريم بها لوسع الفاظها ودقة معانيها وكونها افصح اللغات وابلغها. ودليل هذه المميزات التحدي الذي ورد في القران الكريم كقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [سورة الإسراء: ٨٨]. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا وحبيبنا وشفيعنا: محمد الي تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضى به الحوائج وتنال به الرغائب وحسن الخواتم ويستسقى الغمام بنور بوجهه الكريم وعلى اله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا.

جرى البحث في جمال من جمالات القران الكريم، حيث خص بعض اساليب اللغة العربية، فقد راينا الصور الفنية الجمالية القرآنية التي افاضها القران الكريم باستخدامه للأساليب العربية وبأسلوب دقيق ورائع، وبصور متنوعة، وقد يؤدي اسلوبٌ عدة اساليب في نقس النص وكما يتضح لنا من خلال سير الابحاث الاتية.

الاساليب العربية وجماليتها في القرآن الكريم:

عُرُفَتْ اللغة العربية بأساليبها المتعددة، وقوة التعبير بها، رسمت حروفها لتدل على اصوات من ينطق بها؛ ولأصوات حروفها جرس موسيقي، يجعل للكلام نبرات مناسبة لحدث الخطاب والتكلم؛ واللغات اداة التفاهم بين الشعوب، وتعكس حضاراتها. ومما زاد في لغة العرب اختيار الالفاظ المناسبة لمعاني دقيقة لتدل على مدلولات منتجة معتبرة: نزول القران الكريم بها مما زادها رصانة وجمالا وبلاغة واسلوبا، وجعل لها التأثير الوجداني فأطربت له النفوس خانعة لكلام الله تعالى المنزل، مقرة ومعترفة بانه: كلام ما بعده كلام، من حيث النظم والاسلوب والتركيب واللفظ والمعنى، وفي بحثنا هذه الذي اشتمل على بحوث جزئية، سلط الضوء على بعض جوانب الجمال في بعض

الاساليب اللغوية النحوية والبلاغية.

الأول: اسلوب التوكيد وجماليـــــة صوره:

١. معنى واهمية التوكيد:

التوكيد احد اساليب اللغة العربيـة ورد في القرآن الكريم بصوره الفنية التي اكسبت نصوصه جمـالا خـاصـا، وجـاء اسلوب التوكيد معززا وداعما ومقويـا للمعنى الـدلالي للنص، وكذلك تكرار اللفظ يزيد في اقـراع اللفظ وتقويته، مما جعل من النص القرآني اكثر يقينا واقناعا للمخاطَب والسامع، وبهذا يكسب النص جمالية التوكيد، قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة النحل: ٩١].

وعرف الدكتور زاهد التوكيـد لغة واصطلاحـا قائلا: ((التوكيد في اللغة: التقريـــر والتوثيق. وفي الاصطـــلاح: اسلوب من اساليب العربية يؤدّى بطرق وصـور تكـون حينا بـأدوات للتوكيد واحيـانـا بـاستعـمالات وبنيـات يـؤدي استعمالها الى دلالة التوكيد، كتقديم ماحقه التأخير وتكرار الكلمـة او الجملة وغير ذلك))[١].

واضـافـة نـبراس عباس: ((التأكيد والتوكيد لغتان، والتوكيد أفصح وبها جـاء الـقـران: ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [سـورة النـحـل: ٩١]؛ للتوكيد ضربان احدهما: اللفظي؛ والاخر المعنوي، ولكل منهما له اسلوبه الخاص به. فاللفظي يكونُ بإعادةِ المُؤكّدِ بلفظهِ أو بمرادفه، سـواءٌ أكـان اسـماً ظاهراً، أم ضميراً، أم فعلاً، أم حرفاً، أم جملةً. فالظاهرُ نحو جاءَ عليٌّ عليٌّ. والضمير نحو جئتَ أنتَ. وقُمنا نحنُ. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٣٥] والفعلُ نحو جاءَ جاءَ عليٌّ. والحرفُ نحو لا، لا أبـوحُ بالسرّ؛ والجملةُ نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

(١) زاهـد: زهير غازي (الدكتور)، في اعراب القران الكريم، الكلية الاسلامية الجامعة– النجف الاشرف، ص: ٦٤.

[سورة الشرح: ٥ -٦]. والمرادفُ نحو أتى جاءَ عليٌّ.

وفائدةُ التوكيدِ اللفظيِّ تقريرُ المؤكدِ في نفسِ السامعِ وتمكينُهُ في قلبِهِ، وإزالةُ ما في نفسهِ من الشُّبهة فيه))[٢].

اما التوكيد المعنوي: فيكون باستعمال ادوات يذكرونها علماء النحو، فيقول الغلاييني: ((التّوكيدُ المعنوي يكونُ بذكرِ النّفسِ أو العينِ أو جميع أو عامّةٍ أو كلاَ أو كلتا، على شرطِ أن تُضاف هذه المؤكّداتُ إلى ضميرٍ يُناسِبُ المؤكّدَ، نحو جاءَ الرجلُ عينُه، والرجلانِ أنفُسهُما. رأيتُ القومَ كلّهم. أحسنتُ إلى فُقراءِ القريةِ عامَّتِهم. جاءَ الرجلانِ كلاهما، والمرأتانِ كلتاهما. وفائدةُ التوكيدِ بالنفس والعينِ رفعُ احتمالِ أن يكون في الكلام مجازٌ أو سهوٌ أو نسيانٌ. إذا أُريدَ تقوية التوكيدِ يُؤتى بعدَ كلمة كله بكلمة أجمع، وبعدَ كلمةِ كلها بكلمة جمعاء، وبعدَ كلمة كلهم بكلمة أجمعينَ، وبعدَ كلمة كلهنَّ بكلمة جُمَع، تقولُ جاءَ الصفُّ كلُّهُ أجمعُ و جاءَت القبيلةُ كلُّها جمعاءُ، قال تعالى ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [سورة ص: ٧٣]، وتقولُ جاءَ النساءُ كلُّهنَّ جُمَعُ. وقد يُؤكدُ بأجمعَ وجمعاءَ وأجمعينَ وجُمَعَ، وإن لم يَتقدَّمهنَّ لفظ كلّ))[٣]. ومنه قوله تعالى: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٣٩].

٢. الجمال في حالات التوكيد:

بين زاهد كذلك استعمال القران الكريم التوكيد قائلا: ((لقد استعمل القران الكريم ضروب التوكيد وصوره بالأدوات وبغيرها مبثوثة في نصوصه، فالتوكيد من وظائف الكلام ومعانيه يؤديه المتكلم حين يكون المتلقي في حالة شك أو انكار، أما اذا لم يكن كذلك فيلقى الكلام على صورة الإخبار لا يحتاج الى توكيد، وأمّا اذا كان المتلقي في شك فيكون اخباره بمؤكد واحد، واذا كان منكرا فبأكثر من مؤكد لإزالة الإنكار. وهنا تتمثل مقولة البلاغة العربية: "لكل مقام مقال" وقد اجتمعت هذه الحالات المذكورة في قوله

(٢) الغلاييني: مصطفى (الشيخ)، جامع الدروس العربية، دار الكرخ والنشر، ٢٠٠٤م: ج ٣، ص: ٥٦٧ -٥٦٨.

(٣) ن. م، ص: ٥٦٨.

تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [سورة يس: ١٣ -١٨]، فحين جاء اهل القرية المرسلون شكوا بهم فجاء توكيد الخطاب بمؤكد واحد وهو (إنّ): لإزالة الشك، ثم أنكروا قول رسل عيسى فجاء الخطاب مؤكدا بثلاثة مؤكدات: هي القسم و(إنّ) ولام التوكيد))[٤]. وتتحصل الصورة الفنية من جمالية التوكيد في رفد وتكثر المعاني، حيث كلما ازداد اللفظ ازداد المعنى وبتكرار المؤكدات تتعدد المعاني وتتكثر، ولكل تأكيد يحمل معنا وغرضا وإيقاعا خاصا به. يكسب النص جماليته.

وينقل الجرجاني في كتابه دلائل الاعجاز رواية مروية عن الانباري ليبين فيها اختلاف المعنى باختلاف الالفاظ: ((واعلمْ أنَّ ممَّا أغمضَ الطريقَ إلى معرفةِ ما نحنُ بصَددِه أن هاهنا فروقاً خفيةً تَجْهلها العامَّةُ وكثيرٌ من الخاصة ليس أنهم يجهلونَها في موضعٍ ويعرفونَها في آخَرَ بل لا يدرون أنها هي ولا يعلمونَها في جملةٍ ولا تفصيلٍ. رُوي عن ابن الأَنباري أنه قال: رَكِبَ الكِنْدي المتفلسِفُ إلى أبي العباس وقال له: إني لأَجِدُ في كلامِ العرب حَشْواً: فقال له أبو العباس: في أيِّ موضعٍ وجدتَ ذلك فقال: أَجِدُ العربَ يقولون: عبدُ الله قائمٌ. ثم يقولون: إنَّ عبد الله قائمٌ ثم يقولونَ: إن عبد اللهَ لقائمٌ فالألفاظ متكرِّرةٌ والمعنى واحدٌ. فقال أبو العباس: بل المعاني مختلِفةٌ لاختلافِ الألفاظِ فقولُهم: عبدُ الله قائمٌ إخبارٌ عن قيامه وقولُهم: إنَّ عبد الله قائمٌ جوابٌ عن سؤالِ سائلٍ. وقولُهم: إنَّ عبدَ الله لقائمٌ جوابٌ عن إنكارِ منكِرٍ قيامَه فقد تكرَّرتِ الألفاظُ لتكرُّرِ المعاني. قال: فما أَحَارَ المتفلسفُ جواباً. وإذا كان الكنديُّ يذهبُ هذا عليه حتى يركَبَ فيه ركوبَ مُستفهِمٍ أو معترِضٍ فما ظنُّك بالعامةِ ومَن هو في عِدادِ العامَّة ممن لا يخطُر شِبْهُ هذا

(٤) زاهد: في اعراب القران، م. س، ص: ٦٤.

بباله))[٥].

ويصور لنا الأستاذ حسين: الجانب الفني الجمالي الرائع، جوابا لسؤال: لماذا كثرت المؤكدات في الآية؟: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [سورة يوسف: ٣٢]؛ فأجاب: لان مضمون الكلام يتناقض تناقضا تاما مع حال المتكلم: وهو شدة الولع والحب ليوسف، وهذا يتناقض تماما مع سجنه واهانته، مما يدفع السامع الى إنكار الكلام وتكذيبه، فاحتاج الى هذا العدد من المؤكدات. والملاحظة الثانية: استعملت مع السجن نون التوكيد الثقيلة، لان السجن أشد من الإذلال، فهو إذلال وزيادة، هي الحبس والعزلة عن الناس؛ وايضا بدأت بالعقوبة الاقوى، قدمت العقوبة الاقوى مع النون الثقيلة لمزيد من التخويف حتى يرتدع وينصاع لكلامها).

(٥) الجرجاني، تحقيق: التنجي: محمد (الدكتور)، دلائل الاعجاز، دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٩٥م: ج ١، ص: ٢٤٢.

٣. مواصفات التوكيد وصوره الجمالية في القرآني:

اولا: جاء التوكيد في القران الكريم كله كوحدة متكاملة، مراعيا المناسبة التي يأتي فيها، محافظة على الصورة الفنية، بل أضفت اليها جمالا زائدا على جمالها وكما ورد على لساني: الخفاجي وعبداللطيف في التعبير القرآني: ((ان التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة منظورة اليه نظرة شاملة وقد روعيه في ذلك جميع مواطنه فهو يؤكد في موطن ما مراعي موطن اخر قرب أو بعد، فتدرك انه اكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد، ولم يؤكد في موطن اخر يبدو شبيها به بمؤكد واحد لسبب دعا الى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له. وكذلك باختيار المؤكدات فهو يؤكد هنا بالنون الخفيفة مثلا وفي موطن اخر بالنون الثقيلة. وهنا بان المشددة وفي موطن اخر بان المخففة، ويستبدل حرفا بحرف، كل ذلك بحسب منظور فني كامل متكامل في القران، فجاء التوكيد كله في القران كله كانه لوحة فنية واحدة فيها من عجائب الفن، وليس فيها الا العجب،

ما يجعل امهر الفنانين يقف مبهورا دهشا مقرا بعجز الخلق اجمعين عن استخلاص عجائبه فضلا عن الاتيان به))[٦]. وكما جاء في آيات كثيرة في القران، ونمثل لها في هذه الآيات الثلاث: ﴿ فَادْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [سورة النحل: ٢٩]، ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[سورة الزمر: ٧٢]، ﴿ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [سورة غافر: ٧٦]؛ ويقول الخطيب الإسكافي: للسائل ان يسأل عن هذه الآيات الثلاثة حول التوكيد في احدها وعدمه في الآخرتين: ((فيقول: ما بال الآية في سورة النحل خصت وحدها بدخول اللام على قوله (لبئس) فيها وإخلاء الآيتين من السورتين منها؟. والجواب أن يقال: إن الآية من هذه السورة في ذكر قوم قد ضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم، وهم الذين أخبر الله تعالى عن أتباعهم أنهم سألوهم عن القرآن فقالوا: ليس من عند الله، وإنما هو أساطير الأولين، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[سورة النحل: ٢٤-٢٥]، وهؤلاء أكثر الناس وأشدهم آثاما، وأشدهم عقابا ومن هذه صفته احتيج عند تغليظ العقاب له إلى المبالغة في تأكيد لفظه، فاختيرت اللام هنا لذلك، ولأن بعدها في ذكر أهل الجنة قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [سورة النحل: ٣٠]، فاللام في «ولنعم» بإزاء اللام في «لبئس»))[٧]؛ وفي قوله تعالى: ﴿لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَ﴾

(٦) الخفاجي: محمود شاكر عبود (الدكتور)، وعبد اللطيف سنشول (الدكتور)، التعبير القرآني، الكلية الاسلامية الجامعة –النجف الاشرف، اصدار وحدة الدراسات والبحوث، ٢٠١٤م، ص: ١٤٩.

(٧) الاسكافي: محمد بن عبدالله (ت٤٢٠هـ)، ابو عبدالله الخطيب الاصبهاني، درة التنزيل وغرة التأويل، جامعة ام القرى، معهد البحوث العلمية –مكة المكرمة، ٢٠٠١م: ط ١، ج ١، ص: ٨٣٧ –٨٣٨.

[سورة الأعراف: ١٥٥]، ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة النحل: ٩]، فهنا أكد سبحانه وتعالى اية الهداية بلام التوكيد، ولم يؤكد اية الاهلاك؛ فأجاب السامرائي: ((فلم يذكر الام في جواب (لو) في الآية الاولى بخلاف الثانية، وذلك لان هداية الناس أصعب وأعسر من الاهلاك. فإهلاك الالوف وألوف الالوف ممكن بوسائل الفتك والتدمير والظواهر الطبيعية؛ ولكن هدايتهم عسيرة، فجاء بالأم لما هو شاق عسير ونزعها مما هو أيسر))[٨].

ثانيا: والتوكيد في الآيتين من سورة الواقعة: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٦٥]، ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٧٠] ادخل لام التوكيد على الحطم ونزعها عن الاجاج؛ فأجاب الزمخشري في كشافه: ((ويجوز أن يقال: إنّ هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب، للدلالة على أن أمر المطعوم مقدّم على أمر المشروب، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب، من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للمطعوم))[٩]، والقران الكريم فيه الكثير من هذه الالتفاتات الفنية التوكيدية الجميلة والتي تضفي جمالا من جمال الاساليب القرآنية الى القران الكريم، ومن حيث استخدام الاساليب التوكيدية المناسبة، والمتجانسة مع سياق النص القرآني.

الثاني: اسلوب القَسَم وجماليته الفنية في القران الكريم:

١. معنى القسم:

قال الدكتور محمد بكر اسماعيل في تعريف القسم: ((أسلوب القسم في اللغة: طريق من طرق توكيد الكلام وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلِّم، إذ يؤتي به لدفع إنكار المنكرين أو إزالة شك الشاكِّين))[١٠]. وجاء في: ((تهذيب اللغة؛

(٨) السامرائي: التعبير القرآني، م. س، ص: ١٢٩.

(٩) الزمخشري: محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (ت٥٣٨هـ)، الكشاف، المكتبة الشاملة، ج٦، ص: ٤٨٧.

(١٠) اسماعيل: محمد بكر(الدكتور)، دراسات في علوم القران، دار المنار، ١٩٩٩م: ط ٢، ص: ٣١٧

والقسم: اليمين))[11]. وأكد اسماعيل على ان الخبر وتأكيده يعتمد على غرض المتكلم وحال المخاطب؛ ((فالأساليب الخبرية تختلف باختلاف غرض المتكلِّم وحال المخاطب؛ فإذا كان المخاطَب خالي الذهن، جاءه الخبر من المتكلم من غير توكيد بالقسم ولا بغيره؛ وإذا كان المتكلم قد رأى أن المخاطب يشك في كلامه أكَّدَ له القول بنوع من أنواع التوكيد، وأهمها: القسم؛ وإذا كان قد رأى المخاطَب ينكِرُ قوله، كان التوكيد أولى وألزم))[12].

وقال ابن الجوزية في تبيانه: ((وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور وإنما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته وآياته المستلزم لذاته وصفاته وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته. فالقسم إما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[سورة الذاريات: ٢٣]؛ وإما على جملة طلبية كقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الحجر: ٩٢ -٩٣]، مع أن هذا قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر وقد يراد تحقيق القسم. والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه فلابد أن يكون بما يحسن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها فأما الأمور الظاهرة المشهورة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها وما أقسم عليه الرب فهو من آياته فيجوز أن يكون مقسما به ولا ينعكس))[13].

٢. جمالية القسم والصورة الفنية الواردة في القرآن الكريم:

اولا: ورد القسم في القران الكريم بصور فنية رائعة لها بعدا عميقا وله تأثير شديد في نفس المخاطب، وإذعانه للتصديق والتيقن من الاخبار الذي جاء به مقسوما عليه، يميل اليه الوجدان يهزه

(١١) الهروي: محمد بن أحمد بن الأزهري، (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ٢٠٠١م: ج ٨، ص: ٣١٩.

(١٢) ن. م.

(١٣) ابن القيم الجوزية: محمد بن ابي بكر(ت ٧٥١ هـ)، التبيان في اقسام القران، دار الفكر، المكتبة الشاملة، ص: ٦.

شعورا، يستطيب له القلب، تارة رغبة وطمأنينة وسكينة وبشرى، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٦]، واخرى رهبة وخوفا ونذيرا: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [سورة التغابن: ١٠].

ثانيا: جمال القسم في التحقيق والتوكيد: ذكر السيوطي في اتقانه، بان القسم لتحقيق الخبر وتوكيده، حيث قال: ((والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده حتى جعلوا مثل والله يشهد أن المنافقين لكاذبون قسماً وإن كان فيه إخبار بشهادة، لأنه لما جاء توكيداً للخبر سمى قسماً. وقد قيل ما معنى القسم منه تعالى: ؟.. فإنه إن كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم، وإن كان لأجل الكافر فلا يقيده. وأجيب: بأن القرآن نزل بلغة العرب، وان عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً))[١٤].

ثالثا: جمال القسم والاشهاد في اكمال الحجة: وكذلك اكد السيوطي، بان القسم والاشهاد من باب اكمال الحجة: ((بان الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها، وذلك أن الحكم يفصل باثنين: إما بالشهادة، وإما بالقسم، فذكر تعالى في كتابه: النوعين حتى لا يبقى لهم حجة: فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[سورة آل عمران: ١٨]، وقال: ﴿ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ [سورة يونس: ٥٣]؛ وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله: ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [سورة الذاريات: ٢٢ -٢٣]: صرح وقال: من ذا الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين ولا يكون القسم إلا باسم معظم، وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن وقسم بمخلوقاته))[١٥].

رابعا: جمال معنى القسم في سبقه "لا"

(١٤) السيوطي: جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، المكتبة الشاملة، ج ١، ص: ٣٨٩.

(١٥) السيوطي: الاتقان، م. س، ج١، ص: ٣٩٠.

النافية: سبقت "لا" النافية القسم مقترنة بالفاء في ستة مواضع عدها المفسرون والنحويون جملا استئنافية لما قبلها، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[سورة النساء: ٦٥]، ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [سورة الواقعة: ٧٥]، ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الحاقة: ٣٨]، ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾[سورة المعارج: ٤٠]، ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴾[سورة التكوير: ١٥]، ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾ [سورة الانشقاق: ١٦]، والصورة الجمالية يرسمها لنا المعنى الدقيق لتوكيد القسم، أي بمعنى اقسم.

فصَّل الاقسام لهذه الصور الفنية ابن شهر اشوب (ت ٥٨٨هـ) في متشابه القران ومختلفه حول المشارق والمغارب قائلا: ((قوله تعالى ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾و في موضع ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾و في موضع ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾أراد بالأول موضع الشروق والغروب لأن المفعل من يفعل ويفعل اسم الموضع منهما، كالمذهب والمدخل، وأما الثاني عنى به مشرق الشتاء ومشرق الصيف وكذلك المغرب وذلك أن مشرق الشتاء قريب فالليل أطول من النهار، وكذلك المغرب، وأما الثالث عنى به منازل الشمس في الشروق والغروب لأن للشمس ثلاث مائة وستين منزلا تطلع كل يوم من منزل وتغرب في منزل وكذلك القمر لأن القمر يجاوز المنازل في شهر والشمس تجاوزها في سنة))[١٦].

ووردت بدون اقتران بموضعين في القران الكريم وكان لها اكثر من توجيه فلنتأمل ذلك مستشعرين الصورة الفنية لكل توجيه، قال تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [سورة القيامة: ١ -٢]، ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ [سورة البلد: ١].

وقد وجه السيد الطبطبائي في تفسيره الميزان هذا القسم لهذه الآيات قائلا: ((قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾

(١٦) ابن شهر اشوب: محمد بن علي(ت٥٨٨هـ)، متشابه القران ومختلفة، انتشارات بيدار، ١٣٢٨هش: ج ١، ص: ٥.

إقسام بيوم القيامة سواء قيل بكون «لا أقسم» كلمة قسم أو بكون لا زائدة أو نافية على اختلاف الأقوال. قوله تعالى: «و لا أقسم بالنفس اللوامة» إقسام ثان على ما يقتضيه السياق ومشاكلة اللفظ فلا يعبأ بما قيل: إنه نفي الأقسام و ليس بقسم، والمراد أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة؛ وجواب القسم محذوف يدل عليه الآيات التالية، والتقدير ليبعثن، وإنما حذف للدلالة على تفخيم اليوم و عظمة أمره قال تعالى: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗ﴾[سورة الأعراف: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ [سورة طه: ١٥]، وقال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [سورة النبأ: ١ -٢]))[١٧].

وجاء في التحرير والتنوير لابن عاشور: ((وصيغة: {لا أقسم} صيغة قسم، أدخل حرف النفي على فعل: {أقسم} لقصد المبالغة في تحقيق حُرْمة المقسَم به بحيث يُوهِم للسامع أن المتكلم يهم أن يقسم به ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به فيقول: لا أقسم به، أي ولا أقسم بأعزَّ منه عندي، وذلك كناية عن تأكيد القَسم وتقدم عند قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [سورة الواقعة: ٧٥]، وفيه محسن بديعي من قبيل ما يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم؛ {والقسم بيوم القيامة} باعتباره ظرفاً لما يجري فيه من عدل الله وإفاضة فضله وما يحضره من الملائكة والنفوس المباركة))[١٨].

وقد اجمل الدكتور سلمان في بحثه الموسوم: من اسرار القسم في القرآن الكريم، اجابته لمعنى "لا اقسم" بمعنى: اقسم حيث قال: ((ومن هنا فان معنى "لا اقسم" هو "اقسم" كما قال القدماء ولكن مع افادة التأكيد، ومعنى ذلك كله ان الله سبحانه وتعالى قد اقسم بمواقع

(١٧) الطبطبائي: محمد حسين، الميزان في تفسير القران، مؤسسة المجتبى للمطبوعات، ط١ المنقحة، ٢٠٠٥م: ج٢٠، ص: ٥٧

(١٨) ابن عاشور: محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير، المكتبة الشاملة، موقع التفاسير ج١٥، ص: ٤٣٣ رابط النت: http: // www. altafsir. com

النجوم حقا في هذه الآية. وكما يدل على ذلك ايضا انه جاء بعدها مباشرةً: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾[سورة الواقعة: ٧٦]، فدل على انه قسمٌ لا نفيٌّ له، ويؤكده كذلك قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ [سورة البلد: ١]، و «لا» ليست لنفي القسم بل لتأكيده، بدليل ان الله تعالى قد اقسم بهذا البلد في موضع اخر وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ﴾ [سورة التين: ١ - ٤]))[١٩].

خامسا: للقسم صور جمالية في المقاصد والعظة والعبرة: للقسم اضافة لجوانبه التوكيدية صور اخرى ولطائف، يصفها اسماعيل قائلا: ((اعلم أن الله-عز وجل-لا يقسِمُ بشيء إلا وفيه موضع للعبرة، وموطن للعظة والذكرى، ومجال رحب للتأمُّل والنظر، وكان من ورائه مقصد يطلبه المؤمن المتدبِّر والعاقل المستبصر. وكثيرًا ما يحمل المقسم عليه خصائص المقسَم به وسماته، فتكون المناسبة بينهما جدّاً قوية. فقد يقسِمُ الله بالشيء لتعظيمه، أو للتهويل من شأنه، والتحذير من شره، أو للتذكير بنعمه، أو لدعوة العقلاء إلى التأمُّل فيه، والتعرُّف على أسراره، وقد تجتمع هذه الأغراض كلها في القسَم، وقد يجتمع بعضها دون البعض الآخر، ولكن المقصد الأصيل من القسم هو توكيد المقسَم عليه وتقريره وتثبيته في قلوب العباد ليستيقنوه حق الإستيقان، على أن توكيد المقسَم عليه بالمقسَم به يُعَدُّ ضربًا من الإيجاز، فهو دائمًا يأتي بالدعوة مصحوبة بدليلها، فيوفر للقارئ منطلقًا رحبًا، ويفتح له أبوابًا واسعة للتأمل والنظر))[٢٠]، ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ﴾ [سورة الذاريات: ١-٥]، وجاء في تفسير هذه الآيات في الدر المنثور: ((عن علي

(١٩) بن علي: سليمان (الدكتور)، من اسرار القسم في القران الكريم، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد ٣١، رمضان ١٤٢٥هـ: ج ١٩، ص: ٥٦١.

(٢٠) اسماعيل: دروس في علوم القران، م. س، ص: ٣٢٣-٣٢٤.

بن أبي طالب عليه السلام في قوله: {والذاريات ذروا} قال: الرياح، {فالحاملات وقرا} قال: السحاب، {فالجاريات يسرا} قال: السفن، {فالمقسمات أمرا} قال: الملائكة))[٢١].

فلو تدبر القارئ لهذه الآيات الكونية العظيمة، ((أيقن أن من بيده تصريف هذه الآيات الكونية قادرًا على كل شيء. فالمشركون لما أنكروا الرسالة والوحدانية، والبعث والجزاء، واستبعدوا ذلك كله أيما استبعاد، اقتضى توكيد ما أنكروه، وتقرير ما جحدوه بشتَّى أنواع التوكيد، ولا شكَّ أن القسَم من أقوى هذه الأنواع، وقد جرت عادة العرب توكيد عظائم الأمور به، فجاء القرآن الكريم على وفق ما جرت به عادتهم من جهة. ففي الذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات، عظات بالغة، وآيات ناطقة بوحدانية الله تعالى وعظيم قدرته على تصريفها، وإرسالها نعمة على قوم، ونقمة على آخرين، وجعل فيها الحياة للإنسان والحيوان والنبات، وصنَّفها وفق حكمته أصنافًا شتَّى، وجعل لكل صنف منها وظيفة كونية خاصة. فمنها ما يذرو النبات ويحركه لينمو ويزدهر، ومنها ما يحمل السحب المثقَلَة بالماء. ومنها ما يجري بهذه السحب في يسر وخِفَّةٍ إلى حيث شاء الله، ومنها ما ينزِّل المطر من هذه السحب بقدر معلوم إلى أماكن محدودة، ومنها... ومنها. وما هذه الأقسام التي أقسم الله بها إلّا دعوة للتأمل والنظر. فمن نظر أبصر، ومن أبصر عرف))[٢٢]، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[سورة ص: ٢٩]؛ وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ نَفْسٍ ... وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾[سورة الطارق: ١ -١٤].

واوضح سيد قطب خصائصا للقسم لسورة الطارق، منها: ((ففي إيقاعاتها حدة يشارك فيها نوع المشاهد، ونوع الإيقاع الموسيقي، وجرس الألفاظ، وإيحاء المعاني. ومن مشاهدها: «الطارق.

(٢١) السيوطي: الدر المنثور في التأويل بالمأثور، المكتبة الشاملة -موقع التفاسير، ج٩، ص٢٩٦.

(٢٢) اسماعيل: م. س، ص: ٣٢٤ -٣٢٥.

والثاقب. والدافق. والرجـع. والصدع». ومن معانيها: الرقابة على كل نفس: {إن كل نفس لما عليها حافظ}، ونفي القوة والنـاصر: {يوم تبلى السرائر فما له من قـوة ولا ناصر}، والجـد الـصـارم: {إنه لقول فصل وما هو بالهزل}، والوعيد فيها يحمل الطابع ذاتـه: {إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً. فمهل الكافرين أمهلهم رويداً}))[٢٣]، ويعقب على افتتاح السورة بالقسم بأمور كونية لها وقعها واثرها في ادارة الكون ونظمه، قائلا: ((هذا القسم يتضمن مشهداً كونياً وحقيقة إيمانية... وفي التعبير بصيغته هذه معنى التوكيد الشديد.. ما من نفس إلا عليها حافظ. يراقبها، ويحصي عليها، ويحفظ عنها، وهو موكل بها بأمـر الله. ويعين النفس لأنها مستودع الأسرار والأفكـار. وهي التي يناط بها العمل والجـزاء. ليست هنالك فوضى إذن ولا هيصة!. والناس ليسوا مطلقين في الأرض هكذا بلا حارس. ولا مهملين في شعابها بلا حافظ، ولا متروكين يفعلون كيف شاءوا بلا رقيب. إنما هو الإحصاء الدقيق المباشر، والحساب المبني على هذا الإحصاء الدقيق المباشر))[٢٤].

سادسـا: قسم غير مباشر: والقسم ليس بالمباشر من قبل الله تعالى بل بخطاب منه الى رسولهﷺ، قال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [سورة التغابن: ٧]، وقـال الشهيد الصدر: ((ان الخلق يقسم بـالله تعالى، والله تعالى يقسم بما شاء من خلقه. فالمسألة هنا اختيارية من قبله سبحانـه. فهو قسم لأجل التوصل الى نتيجة قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴾[سورة العاديات: ٦ -٧]، فالقسم لأجل التركيز والتأكيد على ذلك))[٢٥].

سابعـا: قسم الله تعالى بالنبيﷺ: لتبيين عظمته وتشريفه للناس، قال تعالى:

(٢٣) سيد قطب: ابراهيم حسن الشاذلي، في ظـلال الـقـران، المكتبة الشاملة، ج ٨، ص٦.

(٢٤) سيد قطب: م. س، ج٨، ص: ٦.

(٢٥) الصدر: محمد صادقؒ الشهيد الثاني، منة المنان في الدفاع عن القران، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م: ط ٢، ص: ٢٩١.

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[سورة الحجر: ٧٢].

ثامنا: يقسم الله تعالى بالقران الكريم على احقية الرسول ﷺ ورسالته الخالدة: قال تعالى: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[سورة يس: ١ -٣].

تاسعا: يقسم الله تعالى على ان القران عظيم وحق: قال تعالى ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة الواقعة: ٧٥ -٧٧].

عاشرا: يقسم الله تعالى بمخلوقاته الكونية: لأهميتها وعظمها وكونها آيات علمية تدل وترشد على ان للكون خالق واحد حكيم مدبر، والانسان بطبيعة الحال يحس بهذه الموجودات ويشعر بعظمتها، فيكون هناك استشعاراً وتيقنا في القسم، فمن الاقسام بالمخلوقات السماوية وهي كثيرة في القران منها، قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[سورة النجم: ١]، ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾[سورة الذاريات: ٧]، ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾[سورة البروج: ١].

احدى عشر: وردت اقسام كثيرة في سورة الشمس متعلقة بسماواته وارضه وازمنتها، لعلَّه لأقناع النفس وترويضها على الايمان والفطرة، لأنها سبب سعادة الانسان، قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[سورة الشمس: ١ -١٠].

وهناك صور وجمالات من الاقسام كثيرة مبثوثة في نصوص القران الكريم الشريفة، يطول المقام بذكرها، فاختصرنا على ما ذكر، والباقي على المطولات ان شاء الله تعالى.

٣. **المناسبة في صور القسم ومناسبته الجمالية:**

لو تدبرنا الاقسام في القران الكريم ودققنا في جملة القسم وجملة جوابه، وبدقة متناهية، لوجدنا الترابط الوثيق والمناسبة بينهما، توحي لرسم صورة فنية جميلة، يضفيها القسم الى صور جمالياته الاخرى، فنجد ترابط التركيب والفاظه، وغايته المثمرة لهذه التركيبة العجيبة،

والعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه، ففي قوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [سورة الضحى: ١ -٣]، ((فالضحى والليل مقسم بهما وقوله: {ما ودّعك ربّك وما قلى} هو جواب القسم الذي نعبّر عنه بالمقسم عليه، فهناك صلة في الواقع بين المقسم به والمقسم عليه، وهو أنّه لماذا لم يقسم بالشمس ولا بالقمر ولا بالتين ولا بالزيتون بل حلف بالضحى والليل لأجل المقسم عليه أعني قوله: {ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى}؟. وصفوة القول: إنّ كلّ قسم جدير لتحقيق الخبر، ولكن يقع الكلام في كلّ قسم ورد في القرآن الكريم أنّه لماذا اختار المقسم به الخاص دون سائر الأمور الكثيرة التي يقسم بها؟. فمثلاً: لماذا حلف في تحقيق قوله: {ما ودّعك} بقوله: (والضحى والليل} ولم يقسم بالشمس والقمر؟.))[٢٦]؛ وبين اسماعيل جانبا من هذه العلاقة والمناسبة بينهما ملفتاً النظر الى نظم القران واعجازه بصورة عامة والى ما ينتجه اسلوب القسم من لوحة فنية، لها القدرة على اقناع الاحاسيس والمشاعر الوجدانية، مما ينتج عنها تغيير، ربما عقيدة ضالة منحرفة الى عقيدة حقة نورانية، تخرج صاحبها من الظلمات الى النور، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[سورة الحديد: ٩]، ((فهو كتاب محكَم النَّسْجِ، لا تجد فيه خللًا بين كلماته، ولا تنافر بين حروفه، ولا تناقض في معانيه ولا في مراميه. مع أنه نزل منجَّمًا في نحو ثلاث وعشرين سنة، فانظر كيف رتَّبه الله ترتيبًا فريدًا غاية في الحسن والجمال، والجلال والكمال، بهر العقول ببراعة نظمه، وسلاسة أسلوبه، ودقة تصويره، وروعة تعبيره، وعذوبة بيانه. فإذا تأمَّلنا مثلًا في آيات القسَم وجدنا الصلة جدَّ قوية بين المقسَم به والمقسَم عليه، وأدركنا أن بينهما تناسبًا وثيقًا؛ بحيث لو جيء مكان أحدهما بشيء آخر لاختلَّ النظام،

(٢٦) السبحاني: جعفر(الشيخ المحقق)، الاقسام في القران الكريم، رابط النت: http: // www. alseraj. net / maktaba / kotob / quran / agsim / ags13. html.

وذهبت مواطن الجمال والجلال))[٢٧]. فيكمن الجمال والجلال بهذا التناسب لهذه العلاقة، بارتباط المقسم به بالمقسم عليه بمناسبة لا تنفك عنهما، بحيث لو استبدل اي منهما بغير هذه التركيبة من النظم واللفظ والدلالة، لما صلح القسم، ((فقد أقسم الله مثلًا بطوائف من الملائكة على وحدانيته وربوبيته، لنفي ما زعمه المشركون من وجود صلة نسبية بينه وبينهم، فقال: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾[سورة الصافات: ١ -٤]، فقد زعموا أن الملائكة بنات الله، وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبًا، فأقسم بهم لبيان وظائفهم، وتحديد مكانتهم، وإثبات كماله في ذاته، وبيان أنه الواحد الأحد، رب السماوات والأرض وما بينهما. فلو جيء بمقسَم به آخر غير الملائكة، فقيل مثلًا: «والذاريات ذروًا» أو قيل: «والنجم إذا هوى» لاختلَّ نظم الكلام ونسق المعاني، ولذهب وجه فريد من وجوه الإعجاز البياني))[٢٨]. وفي سورة المدثر ورد اسلوب القسم: في قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ﴾ [سورة المدثر: ٣٢ -٣٦]، ((أقسم سبحانه بالقمر الذي هو آية الليل وفيه من الآيات الباهرة الدالة على ربوبية خالقه وبارئه وحكمته وعلمه وعنايته بخلقه -ما هو معلوم بالمشاهدة. وهو سبحانه أقسم بالسماء وما فيها مما لا نراه من الملائكة وما فيها مما نراه من الشمس والقمر والنجوم وما يحدث بسبب حركات الشمس والقمر: من الليل والنهار وكل ذلك آية من آياته ودلالة من دلائل ربوبيته))[٢٩]. ويقب ابن الجوزية على القسم بهذه المخلوقات ويصف الشمس والقمر وحركتهما وانتظام الحركة الدقيقة العجيبة والتي منها يتكون الليل والنهار، وعدد السنين والايام... قال تعالى:

(٢٧) اسماعيل: م. س، ص: ٣٢٥.

(٢٨) اسماعيل: م. س، ص: ٣٢٥ -٣٢٦.

(٢٩) ابن القيم الجوزية: محمد بن ابي بكر (ت٧٥١هـ)، تحقيق، الفقي: محمد حامد، التبيان في اقسام القرآن، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ص: ١٦٣.

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [سورة يس: ٣٧ -٤٠]، فلتعظيم هذه الآيات، اقسم الله بها ليكون لها الاثر في الوقع وتأكيد الخبر في قلوب الكافرين والمعاندين والمنكرين، مصوراً اياها بهذه الصور المرتسمة من خلال التعبير الاتي: ((ومن تدبر أمر هذين النيرين العظيمين وجدهما من أعظم الآيات في خلقهما وجرمهما ونورهما وحركتهما على نهج واحد لا ينيان ولا يفتران دائبين ولا يقع في حركتهما اختلاف بالبطء والسرعة والرجوع والاستقامة والانخفاض والارتفاع ولا يجري أحدهما في فلك صاحبه ولا يدخل عليه في سلطانه ولا تدرك الشمس القمر ولا يجيء الليل قبل انقضاء النهار بل لكل حركة مقدرة ونهج معين لا يشركه فيه الآخر كما أن له تأثيرا ومنفعة لا يشركه فيها الآخر وذلك مما يدل من له أدنى عقل على أنه بتسخير مسخر وأمر آمر تدبير مدبر بهرت حكمته العقول وأحاط علمه بكل دقيق وجليل وفرق ما علمه الناس من الحكم التي في خلقهما مالا تصل إليه عقولهم ولا تنتهي إلى مباديها أوهامهم فغايتنا الاعتراف بجلال خالقهما وكمال حكمته ولطف تدبيره وأن نقول ما قاله أولوا الألباب قبلنا {ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار}، فيحصل بسبب ذلك معرفة الأشهر والسنين وحساب آجال العالم: من مواقيت حجهم وصلاتهم ومواقيت أجائرهم ومداياناتهم ومعاملتهم التي لا تقوم مصالحهم إلا بها فمصالح الدنيا والدين متعلقة بالأهلة))[٣٠].

الثالث: جماليات أسلوب الاستفهام في القران الكريم:

١. **معنى الاستفهام:**

استفهام مصدر استفهم؛ قال ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة، تحت باب الاستخبار: ((الاستخبارُ: طلب خُبْر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام.

(٣٠) ن. م، ص: ١٢.

وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق. قالوا: وذلك أن أولى الحالين الاستخبار لأن تستخبر فتجابُ بشيء، فربّما فهمته وربّما لم تفهمه، فإذا سألت ثانيةً فأنت مستفهم)[٣١]. (وهو طلب الفهم او العلم من السائل العاقل عن المسؤول عنه، وهو من الاساليب الانشائية الطلبية، ويقول زاهد: ((الاستفهام: من اساليب العربية ويعني السؤال وطلب العلم وهذا المعنى الحقيقي، لكنه قد يخرج عن هذا المعنى الى معان اخرى مجازية يحددها السياق))[٣٢].

٢. اقسام وصور جمال الاستفهام في القرآن الكريم:

يعتبر اسلوب الاستفهام من اكثر اساليب القران الكريم ورودا فيه واوسعها، فهو يشكل نسبة عالية جدا بين نصوصه القرآنية عن باقي الاساليب الاخرى، ويحمل صورا متعددة ومختلفة من حيث المعنى والدلالة، كذلك تتعدد وتكثر صوره الابداعية الجمالية، يرسمها الخيال، متنقلا من صورة الى اخرى... وجاء الاستفهام في القران الكريم على قسمين:

الاول: الاستفهام الحقيقي:

وهو الاستفهام الصادر ممن يجهل العلم والفهم للمستفهم عنه، ويكون بين العاقلين؛ وجاء في ((وهو ما يطلب به معرفة المستفهم عنه، والله سبحانه وتعالى منزه عن أن يسأل سؤالا حقيقيا، لان السؤال الحقيقي يستلزم الجهل بما يسأل عنه، والله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لا تخفى عليه خافية، وما ورد في القران الكريم من سؤال حقيقي "وهو قليل جداً" جاء محكيا عن غير الله تعالى، كقول -نبي الله -سليمان عليه السلام لمن حوله: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [سورة النمل: ٣٨]))[٣٣]. وقوله تعالى عن لسان الرجل الذي جاء من اقصى المدينة يسعى، (يروى انه حبيب النجار)

(٣١) ابن فارس: احمد بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، الصاحبي في فقه اللغة، المكتبة الشاملة، ج١، ص: ٤٤.

(٣٢) زاهد: اعراب القران، م. س، ص: ٧٢.

(٣٣) اللبَدي: عبدالرؤوف سعيد عبد الغني، همزة الاستفهام في القران الكريم، فهرست المكتبة الوطنية، عمان -الاردن، ١٩٩٢م: ص: ج ١، ص: ٨ .

قال: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[سورة يس: ٢٢].

الثاني: الاستفهام المجازي:

وهو الصادر ممن كان عالما ومتفهما للاستفهام عنه مسبقاً، أو كان موجهاً لغير العاقل، وهو ما يخرج عن معناه الحقيقي الى معان وصور جمالية اخرى، وهو ما ورد في القران الكريم كثيرا، ويرد الاستفهام المجازي: على لسان الله سبحانه وتعالى، او الملائكة، او الانبياء، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ﴾[سورة البقرة: ٢٤٦]؛ ويرد على لسان الكافرين في حالة العذاب في القبر او البرزخ او القيامة. ويرد اذا كان يتناول حصول شيء مستحيل فهو يدل على العجب... وكما سياتي في معاني الاستفهام المجازية وامثلتها.

٣. المعاني المجازية للاستفهام وصورها الجمالية في القرآن الكريم:

خرج الاستفهام من معناه الحقيقي الى معانٍ مجازية كثيرة تفهم من سياق الكلام، ذكر منها الدكتور مطلوب خمسة وعشرون معناً بإيجاز اذكر منها تسعة معانٍ وكما يلي[٣٤]:

١. **النفي:** كقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [سورة الرحمن: ٦٠].

٢. **التمني:** كقوله تعالى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٣].

٣. **التحقير:** كقوله تعالى: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾[سورة الفرقان: ٤١].

٤. **الاستبطاء:** كقوله تعالى: ﴿ ... مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ... ﴾[سورة البقرة: ٢١٤].

٥. **الاستبعاد:** كقوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾[سورة الدخان: ١٣].

٦. **الوعيد:** كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[سورة المرسلات: ١٦].

٧. **التشويق:** كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ

(٣٤) مطلوب: أحمد (الدكتور)، البصير: كامل حسن (الدكتور)، البلاغة والتطبيق، مطابع بيروت الحديثة، ٢٠١١م: ط ٣، ص١٣٢-١٣٧.

أَلِيمٍ ﴾ [سورة الصف: ١٠]. ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[سورة الأنعام: ٧٤]، ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [سورة الصافات: ٨٥ –٩٥].

٨. **الامر**: كقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[سورة المائدة: ٩١].

٩. **النهي**: كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [سورة الانفطار: ٦].

وهناك تقسيم اخر اختص به علماء علوم القران، فذهب الزركشي الى تقسيم الاستفهام الى استفهام بمعنى الخبر، واستفهام بمعنى الانشاء؛ وقسم الاستفهام بمعنى الخبر الى ضربين: ((احدهما نفي، والثاني اثبات فالوارد للنفي يسمى استفهام انكار والوارد للأثبات يسمى استفهام تقرير لأنه يطلب بالأول انكار المخاطب وبالثاني اقراره به، وكما يلي:

الاول: استفهام الانكار: فالأول المعنى فيه على ان ما بعد الاداة منفي ولذلك تصحبه «الا» كقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[سورة الأحقاف: ٣٥]، ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سورة سبأ: ١٧]؛ ويعطف عليه المنفي كقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[سورة الروم: ٢٩]: أي لا يهدي، وهو كثير ومنه: ﴿ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾[سورة الزمر: ١٩]، أي لست تنقذ من في النار. ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس: ٩٩].

الثاني: استفهام التقرير: والتقرير حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده. والكلام مع التقرير موجب، ولذلك يعطف عليه صريح

الموجب، كقوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾[سورة الضحى: ٦ -٧]، وقوله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾[سورة الشرح: ١ -٢]؛ ويعطف على صريح الموجب، كقوله: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾[سورة الفيل: ٢]))[٣٥].

٤. **الاستفهام بمعنى الانشاء:**

بين الزركشي الاستفهام الانشائي: وهو من الأساليب العربية، ويستعمل لأغراض متعددة، منها الطلب والدعاء والترغيب والتمني والتحذير و...؛ وبين الزركشي في برهانه؛ الاستفهام المراد به الانشاء، ((وهو على ضروب:

أ. مجرد الطلب: وهو الامر كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[سورة يونس: ٣]، وقوله: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[سورة آل عمران: ٢٠] أي اسلموا.

ب. الدعاء: وهو كالنهي الا انه من الادنى الى الاعلى كقوله تعالى: ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّا ﴾[سورة الأعراف: ١٥٥]، وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٣٠]: وهم لم يستفهموا لان الله قال إني جاعل في الأرض خليفة))[٣٦]. وغيرها من المعاني كثير.

الرابع: اسلوب النداء وجماله الفني في القرآن الكريم:

وهو اسلوب من الاساليب العربية لتنبيه المخاطَب ودعوته لأمر ما بواسطة احد حروف النداء السبعة، وهي: ((أ، أي، يا، آ، ايا، هيا، وا))[٣٧]؛ وصيغة "اللهم". واستعمل الله سبحانه وتعالى

(٣٥) الزركشي: بَدْر الدِّين مُحَمَّد (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، البرهان في علوم القران، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧م: ج ٢، ص: ٣٢٨ -٣٣٢.

(٣٦) الزركشي، البرهان، م. س، ج ٢، ص٣٣٩-٣٤١.

(٣٧) الغلاييني: جامع الدروس، م. س، ج ٣، ص: ٥٠٨.

في كتابه العزيز منها الحرف "يا" فقط، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم ﴾[سورة البقرة: ٣٣]، ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[سورة الصافات: ١٠٢]، او محذوفة قال تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴾ [سورة يوسف: ٢٩]؛ ولكافة انواع الخطاب القرآني، للقريب والبعيد سواء. يمتلك حرف النداء خاصية فنية وهي اطالة الصوت عند التلفظ به ليعطي مساحة ذوقية اطول من باقي حروف النداء ليمهد للسامع المتلقي المخاطَب تلقي الخطاب والتفاعل معه. ((وتتعين «يا» في نداء اسم الله تعالى، فلا ينادى بغيرها، وفي الاستغاثة، فلا يستغاث بغيرها، وتتعين هي و «وا» في الندبة، فلا يندب بغيرهما، الا ان «وا» في –الندبة–اكثر استعمالا منها، لان "يا" تستعمل للندبة اذا امن الالتباس بالنداء الحقيقي))[٣٨]. ففي القران الكريم: ((نادى الله تعالى جميع أنبيائه ورسله بأسمائهم، ونادى نبينا محمدًا ﷺ بوصفه الشريف))[٣٩]؛ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾[سورة الأنفال: ٦٥]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ [سورة المائدة: ٤١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ [سورة المزمل: ١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ [سورة المدثر: ١].

١. الصورة الجمالية لحذف ياء النداء:

اسلوب جميل يضفي لأساليب القران الكريم جمالا اخر وهو حذف ((اداة النداء ويعوض عنها التنغيم والسياق يحدد دلالته))[٤٠]، واكثر ما حذفت "يا" النداء في القران الكريم مع لفظ "رب" حيث ذكرت معها في بعض المواضع، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾[سورة الفرقان: ٣٠]، ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٨٨]، وحذف «يا » في نداء «الرب» في مواضع اخرى، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا ﴾[سورة البقرة: ١٢٦]، ﴿ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم ﴾[سورة الأعراف: ١٥٥]. واشار السيوطي في اتقانه نقلا

(٣٨) ن. م، ج ٣، ص: ٥٠٨.

(٣٩) عظيمة: م. س، ج ٣، ص: ٥٩٩.

(٤٠) زاهد: اعراب، م. س، ص: ٨٦.

عن الكرماني في معاجزه: ((كثر حذف «يا» في القرآن من الرب تنزيها وتعظيما لأن في النداء طرفا من الأمر))[٤١]؛ واضاف الدكتور المطعني إن هذه الكلمة "رب" أكثر استعمالاً من غيرها في الدعاء، فروعي فيها من جهات التخفيف ما يجعلها أطوع في الألسنة، وأسهل في مجارى الحديث، ولم يقتصر حذف أداة النداء في القرآن الكريم على كلمة رب فحسب، بل جاء ذلك في مواضع كثيرة غيرها مثل: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[سورة يس: ١ -٢]، ومثل: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾[سورة طه: ١ -٢]، والأصل يا يس و يا طه. وقد كسا الحذف هنا العبارات فخامة وخلابة))[٤٢].

٢. دلالة النداء وصورة جمال المعنى:

بلا شك ان النداء الحقيقي يحصل بين عاقلين، احدهما "المخاطَب": غافل وغير منتبه، يحتاج الى تنبيه ودعوته الى امر، من قبل المخاطِب، على ان يكون المخاطَب بعيد، فهنا يخرج النداء الى معاني حقيقية قال تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾[سورة الأعراف: ١٩]، اما اذا كان الخطاب (النداء) متوجه الى القريب او الملتفت او كان لغير العاقل: فيخرج الى صور لمعاني ودلالات تنبيهية تختلف عن معنى النداء الحقيقي، يحددها السياق القرآني؛ ذكر دكتور زاهد بعضا منها وكما يلي[٤٣]:

١. التنبيه: قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[سورة الكافرون: ١]، ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾[سورة النمل: ٩ -١٠]، ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ ﴾[سورة يوسف: ٢٩]، جاء النداء هنا بحذف حرف النداء وتقديره «يا يوسف».

٢. دلالة الدعاء: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ

(٤١) السيوطي: الاتقان، م. س، ج ٢، ص: ١٧٠.

(٤٢) المطعني: عبد العظيم ابراهيم محمد (الدكتور)، مكتبة وهبة، ١٩٩٢: ط ١، ج٢، ص: ٨.

(٤٣) زاهد: م. س، ص ٨٦ -٨٨.

﴿ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[سورة النمل: ١٩]: حذف هنا اداة النداء كما حذف ياء المتكلم وبقيت الكسرة تشير لها وهذا في القران كثير. وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠١]، وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[سورة الشعراء: ٨٣].

٣. دلالة التمني: قال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانٗا خَلِيلٗا ﴾[سورة الفرقان: ٢٧-٢٨]، ﴿ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة الأنعام: ٢٧]، فدلالة النداء على التمني يكون باستعمال أداة النداء التي تدخل على ما لا ينادى، او يراد بها الابداع في التعبير الفني، لان النداء الحقيقي يكون للبشر ودخول أداة النداء على «ليت» التي هي أصلا تستعمل للتمني، فدخول أداة النداء عليها مع ما يؤلف التعبير من كلمات يكون أسلوب التمني. والتمني في التعبير القرآني على صورتين: احداهما التمني في اظهار الندم كما جاء في الآيات السابقة، قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا ﴾[سورة الأحزاب: ٦٦]. والأخرى التمني للوصول الى مستحيل كقوله تعالى: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾ [سورة النساء: ٧٣]، ﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ [سورة القصص: ٧٩].

٤. دلالة الندبة: وهي فرع في النداء للحسر في قوله تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[سورة يس: ٣٠] وقوله: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ [سورة يوسف: ٨٤]، ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا

جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٣١].

٥. الامر والموعظة بالتقوى: في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [سورة النمل: ٤٦]، وقوله: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[سورة المؤمنون: ٢٣]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ [سورة الحجرات: ١٢].

٦. التعجب: في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة يوسف: ١٩].

٧. دلالة الامر التكويني: أضاف هذه الدلالة الأستاذ أسامة في محاضراته للمرحلة الرابعة للدراسات القرآنية: ويكون في خطاب الله تعالى لغير العقلاء من مخلوقاته مثل السماء والارض والجبال كقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة هود: ٤٤]: وأيضا فيها افادة التعبير عن الاستجابة الفورية والامتثال المباشر من السماء والأرض كانهما من العقلاء يفهمون النداء ويمتثلون له؛ فالصورة الجمالية تكمن في استجابة الارض للنداء، وامتصاصها الماء بسرعة كبيرة، مما دعا الى استخدام فعل الامر ابلعي المناسب للموقف، بديلا عن أي لفظ؛ وقابل ذلك صورة جمالية للنداء المتوجه للسماء بفعل الامر اقلعي الملائم للتوقف السريع ومن اصله لنزول المطر.

الخامس: أساليب التعجب وجمالياته في القران الكريم:

١. معنى التعجب:

التعجب لغة: مصدر الفعل تعجّب، وورد في مفردات الفاظ القران: ((العجب والتعجب: حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء، ولهذا قال بعض الحكماء: العجب ما لا يعرف سببه، ولهذا قيل: لا يصح على الله التعجب؛ إذ هو علام الغيوب لا تخفى عليه خافية. يقال: عجبت عجبا، ويقال للشيء الذي يتعجب منه: عجب، ولما لم يعهد مثله عجيب. قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا ﴾ [سورة يونس: ٢]، تنبيها أنهم قد عهدوا مثل ذلك قبله، وقوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوا ﴾ [سورة ق: ٢]، ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾[سورة الرعد: ٥]، ﴿كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ﴾[سورة الكهف: ٩]، أي: ليس ذلك في نهاية العجب بل في أمورنا أعظم وأعجب منه. ﴿ قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ [سورة الجن: ١]، أي: لم يعهد مثله، ولم يعرف سببه))[٤٤].

اما في الاصطلاح: ((هو شعورٌ داخليٌّ، تنفعلُ به النفسُ، حين تستعظِمُ أمرًا نادرًا، أو لا مثيلَ لهُ، مجهولَ الحقيقةِ، وقد يكونُ للشعور الداخليِّ آثارٌ خارجيةٌ، كالتي تظهرُ على الوجهِ، أو غيرُ ذلك؛ ولهذا يقالُ: إذا ظهرَ السببُ بَطلَ العَجَبُ))[٤٥]، وعرفه مكناسي بانه: ((روعة تأخذ الإنسان عند استعظام الشيء... وقد يكون إنكارَ الأمر لقلّة اعتياده إياه. وهو ردة فعل محمودة العواقب إن كانت إيجابية عن تفكير وتدبر. ومذمومة العواقب إن كانت سلبية عن رفض للحقيقة ناتجة عن المعاندة والاستكبار))[٤٦].

٢. صور وأقسام فنية للتعجب في القرآن الكريم:

ومن امثلة مارد في القران الكريم عن

(٤٤) الاصفهاني: الراغب (ت ٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القران، تحقيق: داوودي: صفوان عدنان، طليعة النور، ١٤٢٦ هـ: ط١ص: ٥٤٧.

(٤٥) شملاوي: حاتم عثمان يوسف، التعجب السماعي في معجم لسان العرب دراسة نحوية دلالية، جامعة النجاح الوطنية – كلية الدراسات العليا –نابلس، ٢٠٠٨ م: ص: ١١.

(٤٦) مكناسي: عثمان قدري(الدكتور)، أساليب التربية في القران الكريم، انترنت، برابط: http: // www. alhiwar. net / ShowNews. php?Tnd=15344

الحالة الإيجابية قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [سورة هود: ٧١ -٧٣]، وتعجب زكريا حينما بشر بيحيى قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴾[سورة مريم: ٨ -٩]، ومن الأمثلة تعجب الناس من تكلم عيسى عليه السلام وهو في المهد صبيا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَىٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴾ [سورة مريم: ٢٨ -٣٢].

ومن امثلة التعجب للحالة السلبية للاستنكار والمعاندة لرفض الحقيقة قوله تعالى: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾ [سورة ق: ٢]، ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾ [سورة ص: ٤]، ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴾[سورة يونس: ٢]؛ فمن خلال سياق الآيات نجد ان الكافرين يتعجبون من كون المبعوثين اليهم منهم ومن رجالاتهم وليس من الملوك والاغبياء والمتجبرين.

ويأتي التعجب في القران الكريم بصور متعددة، فتارة يأتي حاملا لفظة من لفظ الفعل الثلاثي عجب، او أحد مشتقاتها، حيث ورد كثيرا، كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[سورة الأعراف: ٦٣]، ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ

عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[سورة التوبة: ٢٥]، ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾[سورة يونس: ٢]، ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[سورة هود: ٧٣]، ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[سورة الرعد: ٥]، ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾[سورة الكهف: ٩]، ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾[سورة الصافات: ١٢].

وتارة يرد بألفاظ وأدوات تدل على التعجب من السياق، كما في لفظة «كبر» في قوله تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[سورة الصف: ٣]، وقال الزمخشري في كشافه: ((قصد في «كَبُرَ» التعجب من غير لفظه... ومعنى التعجب: تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله، وأسند إلى أن تقولوا. ونصب {مَقْتاً} على تفسيره، دلالة على أنّ قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه، لفرط تمكن المقت منه؛ واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه))[٤٧]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾[سورة الفرقان: ٧]، ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [سورة ص: ٤]، ويتعجبون من البعث والميعاد كما في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ ([سورة يس: ٧٨ -٧٩]، ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ [سورة الصافات: ٥٣]، ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا

(٤٧) الزمخشري: الكشاف، م. س، ج ٧، ص٤٨.

﴿ تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾[سورة ق: ٣].

٣. **اساليب التعجب:**

للتعجب في العربية أساليب متعددة منها:

أولا: الأساليب القياسية: وهي أساليب جاءت بصيغ وزنية ذكرتها كتب النحو والعربية، ومنها:

ما جاء في كتاب النحو الأساسي ما نصه: ((ويقصد بها تلك التراكيب التي تستعمل أصلا في التعجب، وتدل بلفظها ومعناها عليه. وهي صيغتان: صيغة «ما أفعل»، وصيغة «أفعل به»))[٤٨]: ووردت امثلة قرآنية لهاتين الصيغتين: فلصيغة "ما افعل" ورد في قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾[سورة البقرة: ١٧٥]، ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [سورة عبس: ١٧]. ووردت آيات قرآنية على صيغة «أفعل به» كما في قوله تعالى: ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ ﴾[سورة الكهف: ٢٦]، ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[سورة مريم: ٣٨]، ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [سورة الانفطار: ٦].

ثانيا: الأساليب السماعية: وهو أسلوب تعجبي اخر يحصل بالفاظ وأدوات ليس بلفظ التعجب ولا تدل عليه بمفردها، لكن السياق القرآني دل عليه، ويطلق عليه التعجب المجازي، ووردت في القران الكريم وبصور وصيغ متعددة، كما في: ((استعمال المصدر: «سبحان» مضافا الى لفظ الجلالة لإظهار التعجب والدهشة. «سيحان الله». قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾[سورة الإسراء: ١]، ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[سورة الطور: ٤٣]، ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١١٦]، ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [سورة

(٤٨) عبد اللطيف: محمد حماسة (الدكتور)، زهران: مصطفى النحاس (الدكتور)، عمر: احمد مختار (الدكتور)، النحو الأساسي، ذات السلاسل -الكويت، ١٩٩٤م: ط ٤، ص: ٥٩٧ -٥٩٨.

الإسراء: ٩٣]، ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٩١]))[٤٩].

٢. **الاستفهام الذي يتضمن معنى التعجب وجماله الفني:**

أ. الاستفهام «بكيف»: كما في قوله: ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[سورة البقرة: ٢٨]. ويقول القزويني في ايضاحه معقبا لخروج الاستفهام الى التوبيخ والتعجب في هذه الآية: ((أي كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال ينبئ عن الانهماك في الغفلة أو الجهل، وأما التعجيب فلأن هذه الحال تأبى ألا يكون للعاقل علم بالصانع وعلمه به يأبى أن يكفر وصدور الفعل مع الصارف القوي مظنة تعجب))[٥٠]. قال تعالى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴾[سورة النساء: ٥٠].

ب. الاستفهام بالهمزة: كما في الاستفهام الانكاري، كما في قوله تعالى: ﴿ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[سورة الأنعام: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴾[سورة النمل: ٦٧]: قول الفراهيدي في جمل النحو: ((ويقال إن قول الله عز وجل حكاية عن الكفار، إن هذه الألف ألف التعجب لأن الكفار لا تستفهم))[٥١]. وفي موضع اخر للتعجب بالهمزة قوله تعالى: ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن

(٤٩) مدلل: على (استاذ في معهد الآداب واللغات -المركز الجامعي بالوادي)، اسلوب التعجب القياسي بين الدرس النحو والاستعمال القرآني، مجلة البحوث والدراسات، ٢٠٠٩م: العدد ٧، ص: ٣.

(٥٠) القزويني: جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين(ت ٧٣٩هج)، الايضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم -بيروت، ١٩٩٨م.

(٥١) الفراهيدي: الخليل بن احمد، تحقيق: قباوة: فخر الدين(الدكتور)، الجمل في النحو، المكتبة الشاملة، ١٩٩٥م: ط ٩، ص: ٢٦٣.

﴿ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾[سورة البقرة: ٣٠]، ويصور الزمخشري هذا التعجب: ((تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير ولا يريد إلا الخير))(٥٢). قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[سورة البقرة: ٤٤]، ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [سورة هود: ٧٢]. ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[سورة النحل: ٧١].

ج. الاستفهام بـ «أيٌّ» في القران الكريم: كما في قوله تعالى: ﴿ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ [سورة المرسلات: ١٢]، فالاستفهام هنا خرج للتعظيم والتعجيب، كقول الصابوني في صفوته: ((استفهامٌ لتعظيم ذلك اليوم، والتعجيب لما يقع فيه من الهول والشدة أي لأي يومٍ عظيم أُخرت الرسل))(٥٣).

د. الاستفهام "بما": الخارج بالمعنى المجازي لما الاستفهامية، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾[سورة الواقعة: ٨ -٩].

ويقول البيضاوي في تفسيره: ((أصحاب اليمن والشؤم فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم. والجملتان الاستفهاميتان: معناهما التعجب من حال الفريقين))(٥٤). وفي قوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [سورة النبأ: ١]؛ عمَّ: أصلها(عن ما)، ويقول الصابوني: ((وليس المراد هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر وتعظيمه، وقد كان المشركون يتساءلون عن البعث فيما بينهم، ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاءً فجاء اللفظ بصيغة الاستفهام للتفخيم والتهويل وتعجيب السامعين من أمر

(٥٢) الزمخشري: م. س، ج ١ ص: ٧٩.
(٥٣) الصابوني: محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ١٩٩٧م: ط١، ص: ٤٧٦.
(٥٤) البيضاوي: ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المكتبة الشاملة، ج ٥، ص: ٢٥٩.

المشركين))[٥٥]. قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٣٢].

٥. الاستفهام بـ «أنى»: يأتي بصور مختلفة منها قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴾ [سورة مريم: ٨]، وقال ابن الاثير في تفسيره: ((هذا تعجب من زكريا عليه السلام، حين أجيب إلى ما سأل، وبُشِّر بالولد، ففرح فرحًا شديدًا، وسأل عن كيفية ما يولد له، والوجه الذي يأتيه منه الولد، مع أن امرأته (كانت) عاقرًا لم تلد من أول عمرها مع كبرها، ومع أنه قد كبر وعتا، أي عسا عظمه ونحل، ولم يبق فيه لقاح ولا جماع. تقول العرب للعود إذا يبس: «عَتا يَعْتو عِتيا وعُتُوا، وعَسا يَعْسو عُسوا وعِسيا»))[٥٦]. قال تعالى: ﴿ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴾ [سورة مريم: ٢٠]. قال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٥].

٤. **هل يجوز العجب على الله تعالى:**

العجب: روعة ودهشة تصيب الانسان عند مواجهة امر تخفى عليه أسبابه، والله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء، ففي قوله تعالى: ﴿ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ﴾ [سورة الصافات: ١٢]، يعقب عليها الزمخشري في كشافه قائلا: ((بل «عجب» من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم {يسخرون} منك ومن تعجبك وما تريهم من آثار قدرة الله، أو من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث. وقرئ: بضم التاء، أي: بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي أني عجبت منها، فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله، وهم

(٥٥) الصابوني: ن. م، ص: ٤٨٢.

(٥٦) ابن كثير: إسماعيل بن عمر أبو الفداء (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سلامة: سامي محمد، تفسير القران العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م: ط ٢، ج ٥، ص: ٢١٤.

يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه. فإن قلت: كيف يجوز العجب على الله تعالى، وإنما هو روعة تعتري الإنسان عند استعظامه الشيء، والله تعالى لا يجوز عليه الروعة؟. قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يجرد العجب لمعنى الاستعظام، والثاني: أن يتخيل العجب ويفرض))[٥٧]؛ وذكر السيد الطبأطبائي في تفسيره الميزان: ((قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴾، أي بل عجبت يا محمد تكذيبهم اياك مع دعوتك اياهم الى كلمة الحق، وهم يسخرون ويهزؤن من تعجبك منهم او من دعائك اياهم الى الحق، واذا ذكروا بآيات الله الدالة على التوحيد ودين الحق لا يذكرون ولا يتنبهون))[٥٨].

السادس: جمالية أسلوب القصر في القرآن الكريم:

١. معنى القصر:

وهو أسلوب من أساليب العربية، ورد في القران الكريم وبصور فنية جميلة وفي مواضع كثيرة منه، وجاء تعريفه لغة واصطلاحا في التعريفات للجرجاني وكما يلي: ((في اللغة: الحبس، يقال، قصرت اللقحة على فرس، إذا جعلت لبنها له لا لغيره؛ وفي الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء وحصره فيه، ويسمى الأمر الأول: مقصوراً والثاني: مقصوراً عليه. والقصر الحقيقي: تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر بأن لا يتجاوزه إلى غيره أصلاً. والقصر الإضافي: هو الإضافة إلى شيء آخر، بألا يتجاوزه إلى ذلك الشيء، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر في الجملة))[٥٩].

والقصر يكون اما بواسطة أداة، كأداة الحصر (إِنَّمَا)، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[سورة المائدة: ٥٥]. او يكون أسلوب كما في تقديم من حقه التاخير، قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[سورة الفاتحة: ٥]، ﴿ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾[سورة الرعد: ٣١].

(٥٧) الزمخشري: الكشاف، م. س، ج ٥، ص٤٥٧.

(٥٨) الطبأطبائي: الميزان، م. س، ج ١٧، ص١٣٠.

(٥٩) الجرجاني: التعريفات، م. س، ص: ٥٦.

﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ ﴾[سورة إبراهيم: ١٠].

والجمالية في القصر: هو اثبات شيء ونفي ضده في نفس الوقت.

٢. **طرق القصر وصوره الفنية في القران:**

للقصر طرق وصور أهمها أربعة ذكرها الدكتور احمد مطلوب والدكتور كامل حسن البصير في البلاغة والتطبيق وكما يلي[٦٠]:

أولا: الاستثناء بعد النفي:

ويكون المقصور عليه في هذه الطريقة بعد أداة الاستثناء كقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤]، ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[سورة هود: ٨٨]، ﴿ إِنۡ أَنَآ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[سورة الأعراف: ١٨٨]، وقوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴾[سورة يس: ١٥]: أي لستم في دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق والكذب كما يكون ظاهر حال المدعي اذا ادعى بل انتم عندنا كاذبون.

(٦٠) مطلوب: م. س، ص: ١٧٣ -١٧٦.

وتستعمل: «غير» في القصر استعمال «الا» قال تعالى: ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾[سورة النساء: ٩٥]. ثانيا: إنَّما: ويكون المقصور عليه مؤخرا وجوبا كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]: والدليل على انها تفيد القصر امور:

١. كونها متضمنة معنى: «ما» و«الا» لقول المفسرين في قولع تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٣]: بالنصب معناه «ما حرم عليكم الا الميتة» قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [سورة الحجرات: ١٠]: يعني ما المؤمنون الا اخوة. وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ ﴾[سورة محمد: ٣٦]: يعني ما الحياة الدنيا الا لعب ولهو.

٢. لقول النحاة ان: «انما» لأثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ

﴿ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [سورة التوبة: ١٨].

٣. لصحة انفصال الضمير معها: مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ [سورة مريم: ١٩].

ثالثا: العطف:

ويكون بأدوات العطف: «لا، بل، لكن»: فان كان العطف بـ «لا» كان المقصور عليه مقابلا لما بعدها كقوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [سورة محمد: ١٩] وقول الشاعر:

بيض الصفائح لا سود الصحائف

في متونهن جلاء الشك والريب

جلاء الشك والريب مقصور على بيض الصفائح. وان كان العطف بـ «لكن و بل» كان المقصور عليه ما بعدهما مثل: ما الفخر بالمال بل بالعلم، ما الفخر بالنسب بل بالتقوى.

رابعا: تقديم ما حقه التأخير: وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم قال تعالى: ﴿ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾ [سورة يونس: ٧١] أي قصر التوكل على الله تعالى، قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [سورة الفاتحة: ٥]: قصر العبادة والاستعانة على الله تعالى.

النتائج:

١. القران الكريم بحر مترامي الاطراف لا يمكن الغور فيه من خلال هذه السطر فهو فيه كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنًا لِّكُلِّ شَيۡءٍ وَهُدًى وَرَحۡمَةً وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [سورة النحل: ٨٩].

٢. تعدد الاساليب فيه يؤدي الى كثرة المعاني ومدلولاتها النحوية والتركيبية والصوتية و..

٣. الاسلوب يأتي بعدة اساليب، فمثلا اداة الاستفهام (هل)، مع اداة الحصر (الا)، تشكل اسلوب جميلا ذات صورة فنية رائعة، يسمى بالاستفهام الاستنكاري، قال تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [سورة الرحمن: ٦٠].